http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد (1715) السنة السابعة - الخميس (4) شباط 2010

حين تغيب الرقابة الصحية

أطبـاء يفتقرون الى شـروط العمل الصـحي وعيادات لا تعـرف النظافة

بغداد / إيناس طارق

لم يكن محمد جبار وهو البالغ العقد الخامس من عمره، راضيا عن الطريقة التي تعامل بها معه طبيب الباطنية،اثناء مراجعته له في مستشفى الكرخ العام، للكشف عن الام في بطنه،،لكن ما اثار انتباهه اكثر ما لاحظه في العيادة وطبيبها، كانت عيادته التي هي ضمن بناية المستشفى غير نظيفة فضلا عن ان الطبيب لا يرتدي الصدرية البيضاء، وادواته بدت غير معقمة،ربما سبب ذلك كثرة المراجعين او هذه هي حقيقة مستشفياتنا الحكومية وعياداتها الطبية وزيارة واحدة لقسم الطوارئ ليلا لاي مستشفى كانت! تفي بالغرض ويخرج المريض وهو يحمل في جعبته عشرات الحكايات والغرائب فضلا عن حمله المئات من الفيروسات الحديثة والقديمة التي اصبحت لا تضر ولا تنفع لملاصقتها الافرشة والجدران والارضيات وكل ما يخطر ببالك من عجائب الدنيا السبع تشاهده في مستشفياتنا.

هجرة عيادات الاطباء

فهل يمكن ان يكون ذلك سببا لهجرة المرضى؟، اطباء المستشفيات واللجوء الى عيادات الاطباء الخارجيين الذين هم انفسهم في اغلب الاحيان يفحصون ويعالجون ويكتبون الدواء لنفس المرضى،لكن دواء الطبيب الذي يصفه وهو جالس في عيادته يحمل وصفة سحرية لشفاء المريض،بينما وصفة الدواء وهو جالس في مكتبه الواقع في احدى غرف المستشفى الحكومي، لا تنفع المريض واحيانا الدواء يضره لانه مغاير لما وصفه والسبب عدم توفر الادوية لان حصة المستشفى لهذا الاسبوع تضم انواعا معينة من الادوية ان رغب بها المريض او لا فهو حر في صرف و تناول دوائه. ومحمد جبار واحد من آلاف المرضى الذين جعلهم القدر زبائن دائمين لاطباء يحكمون في مستشفيات حكومية، ويصرف لهم الدواء دون ان يفحص،فقط يساله الطبيب من اي شيء تشكو واحيانا وحقيقة هذا الكلام المريض يطلب من الطبيب كتابة نوع الدواء حتى يبعد الحيرة عن الطبيب.

لكن حقيقة عندما كنا نريد إجراءات حقيقية عن اسباب هجرة المرضى اطباء المستشفيات الحكومية، خصوصا من هم لا يملكون المال لدفع اجرة الكشف الخاص التي تتجاوز احيانا الخمسة وعشرين الف دينار، صادفتنا ظاهرة خطيرة جذبت انتباهنا هي انتشار العيادات الطبية الخاصة وبدون اجازات وان كانت مجازة فهي كما يقول المثل الوضع فيها (حدث ولا حرج) لهذا وجدنا انفسنا نسير نحو اجراء هذا التحقيق الصحفي الذي اكتشفنا من خلاله الكثير من الخفايا في عالم يجب ان يكون صحيا ونقيا وخاليا من كل الامراض والجراثيم الانتقالية والمعدية.

فمنظر العيادات ذات الغرف الضيقة، والجدران المتهرئة،والارضيات الوسخة،ناهيك عن اكتظاظ المرضى ومعاينتهم دفعات من قبل الطبيب، قاسم مشترك بين معظم عيادات الاطباء في بغداد التي يرى المواطنون،انها تفتقر لادنى الشروط الصحية ومستلزمات الراحة، المفترضة للمرضى التي تؤشر غيابا واضحا لاية رقابة صحية.هذا وصف بسيط لبعض العيادات الخارجية التي اخترقنا عالمها الصامت وبعيدا عن انظار الرقابة والمفتش العام في وزارة الصحة..فانتشار العيادات الخاصة واغلبها ان لم تكن جميعها لاطباء يعملون في مستشفيات، ووحدات صحية وعيادة طبية حكومية،واختاروا عياداتهم معتمدين بالدرجة الاولى على ايجار العيادة المنخفض، وهناك عيادات لا تتجاوز مساحتها السبعة امتار ولا تتوفر فيها اضاءة وتهوية وتدفئة وتبريد، وان توفرت فيها وسائل قديمة لا تفي والضرورة التي وجدت من اجلها.

أراء المواطنين

يرى الكثير من المواطنين ان العديد من العيادات الطبية الخاصة في بغداد تفتقر الى النظافة المطلوبة، في المبنى والادوات بسبب قلة رقابة وزارة الصحة على تلك العيادات، والزامها بقواعد سلوك المهنة،وهناك عدة اشارات تؤكد بان بعض الاطباء من اصحاب العيادات الخاصة يمارسون عملهم دون اجازة، وقد علقوا قطعهم وكتبوا عليها عبارات ومصطلحات طبية،وذكروا الشهادات فيها على هواهم وهذا بدوره مخالف لتعليمات وزارة الصحة.

تقول مريم احمد تبلغ من العمر العقد الثاني كلما راجعت الطبيبة النسائية الواقعة عيادتها في احد ازقة منطقة بغداد الجديدة، اجد العشرات من النساء وهن يقفن، والبعض الاخر يجلسن للانتظار في غرفة لاتزيد مساحتها عن اربعة امتار، الامر الذي يزيد من معاناة المريضة التي تنتظر دورها في هذا المكان لتكتشف بعد حين ان الطبيبة غير مؤهلة لممارسة مهنة الطب لوصفة الدواء الغير صحيح او تشخيص الحالة المرضية وكل ذلك حدث بسبب هجرة الاطباء الى خارج البلد ليحتل هولاء مكانهم فهم ليسوا سوى اطباء طارئين على المهنة، فكيف يمكن لطبيبة معاينة وفحص وتشخيص حالة مريضة بصحبة مرافقيها فضلاعن السماح بدخول اكثر من مريضة الى داخل غرفتها، واضافت مريم اعتقد ان هذا الامر مخالف للشروط بل مناف لاخلاقيات المهنة لان لكل مريض اسراره الخاصة.ولا يجوز وتحت اي غطاء ادخال اكثر من مريضة للفحص.

بينما علق ستار كريم من سكنة منطقة الامين قائلا،ان لمهنة الطب اصولها فكيف يمكن لمعاون طبي تعليق شهادة طبيب ممارس، اضافة الى كتابته لوحة تشير الى اجراء العمليات الجراحية الصغرى وفي عيادته،فالكثير من هولاء المعاونين الطبيين هم من علق شهادات طبية مزورة واصبحوا اطباء يتقاضون اجور كشف تتجاوز الخمسة عشر الف دينار بعد ان كانوا يزرقون الحقنة الطبية مقابل مبلغ ٢٥٠ دينارا فقط.

اتفاقيات مسبقة

وما استطعنا اكتشافه في تحقيقنا هو الكشف عن بعض الاتفاقيات الخفية التي تجري بين اصحاب هؤلاء العيادات وبين بعض اصحاب المختبرات الطبية واصحاب بعض الصيدليات مقابل الحصول على نسبة مالية محددة ومتفق عليه مسبقا،يقول الصيدلاني فراس حسن صاحب صيدلية المروة الواقعة في شارع عبد الكريم قاسم، لاتخفى حقيقة وجود بعض الاتفاقات بين الاطباء وصاحب صيدلية محددة او مختبر معين،وان الاخطر من ذلك ان يكون هناك اتفاق خفي بين (الصيدلية والمختبر) او عيادة الاشعة او الجراح وغير الجراحين من الاطباء تعطى فيه نسبة الى الطبيب المرسل،ان هذا الامر من المحرمات في اسس ممارسة المهنة ولا يمكن تبريره تحت اي مسوغ.

بينما تقول الصيدلانية نهلة مروان صاحبة صيدلية كارديا الواقعة في منطقة العطيفية،هناك الكثير من المضمدين نعم المضمدين، او من يعمل في مستشفى حكومي قام بفتح مختبر او عيادة مستغلا بذلك وضعه الوظيفي ان كان باستغلال المواد المختبرية التي يجري بها التحاليل او يوصف الدواء للمريض الذي يدفع اجور كشف ودواء مجانا مهرب من صيدليات المستشفيات الحكومية ومع الاسف تدهور الاوضاع الامنية في السنوات السابقة هو الذي شجعت هؤلاء بالنصب والاحتيال والتزوير على المواطن المثقل بهموم المرض.

أطباء آخر وكت

غرفة صغيرة لا تتجاوز الستة امتار طولا وعرضا وضع بها سرير ومكتب صغير ومقعد اسود يجلس عليه وبضع من المقاعد البلاستيكية لا تتعدى الثلاثة، هذا الوصف هو لعيادة طبيب جراح علق ورقة صغيرة مقوى على احد جدران بيته الصغير الواقع في منطقة قنبر علي، وما جذب انتباهنا ما يقارب الثلاث سنوات فهو من السكان الجدد على المنطقة، وطبيب اختصاص في معالجة الاطفال، وهذا الزحام الكبير هو لإمكانيته الطبية في معالجة الاطفال واحيانا حتى الكبار فالدواء الذي يصفه شفاء لكل مريض.

حاولنا التقرب والاستفسار اكثر استطعنا معرفة سر صغير افشاه بعض المستائين منه حيث قال.....: كيف يمكن ان يكون طبيبا وهو معاون طبي سابق في مستشفى اليرموك وعندما هجر من منطقته جاء الى هنا وفتح محلا وليس عيادة وعلق لوحة كتب عليها طبيب وهو لايعرف ان يصف غير الحقن،وبعض الادوية معتمدا على خبرته وعمله في المستشفيات الحكومية فضلا عن اتفاقه مع صاحب صيدلية..... يصرف الدواء الذي يكتبه الطبيب له باللغة العربية.

تركنا المكان وبدأنا نبحث عن اجابة وعن خوف مما يمكن ان يفاجئنا في الايام القادمة في بلاد اصبح الطب واكتساب الشهادات المزورة والعليا تمنح بمجرد كتابة على الورق وتختم باي ختم صنع في اقرب ورشة او مطبعة تطبع الكارتات لأشخاص طارئين على المجتمع العراقي.

وزارة الصحة

يقول المفتش العام في وزارة الصحة احمد الساعدي ان مسؤولية متابعة ورقابة العيادات الطبية الخاصة تقع على عاتق نقابة الاطباء،غير ان دائرة المفتش العام في الوزارة تقوم بجولات بين الحين والاخر، للتأكد من وجود الطبيب في عيادته ومدى التزامه بشروط افتتاح العيادة والتأكد من اجازته بممارسة المهنة وكذلك طريقة الفحوصات التي يجريها الاطباء،بمعنى ان دائرة المفتش العام تراقب النواحي الفنية.

بيان وزارة الصحة

اشار بيان صادر مؤخرا عن وزارة الصحة،ذكر فيه ان وزارة الصحة العراقية،قسم التفتيش والشكاوى في الوزارة اغلق عددا من عيادات الاطباء والصيدليات، ومذاخر الأدوية ومحال بيع الاعشاب الطبية في مناطق متفرقة من بغداد، لمخالفتها لشروط وتعليمات وزارة الصحة.

بعد غياب الوسائل الترفيهية

العطلـة الربيعيـة.. كيف يقضيهـا الطلبـة ؟

صفقت الطالبة مريم (١٠ سنوات) فرحة وهي تخبرني بأنها سوف تقضي العطلة الربيعية في بيت خالتها في عمان.. ثم سالتني عن نوع الهدية التي ارغب في ان تحضرها لي؟ اجبتها ان هديتي ان تقضي عطلة ربيعية مريحة بل ومتميزة، لكنها اصرت على ان اطلب منها هديتي، فكرت مليا وقلت لها حسنا، احضري لي وردة، قالت باحتجاج فقط وردة؟ كم من طالب او طالبة يتمنون لو يقضون عطلتهم بعيدا عن القلق والترقب من حدوث الفواجع؟

بغداد / سها الشيخلي
تصوير- سعد الله الخالدي

فرح (١٢) سنة طالبة في الصف الثاني المتوسط فتجد ان العطلة الربيعية بالنسبة لها هي استراحة المحارب حيث تخلد الى النوم وتزور صديقاتها كما يحلو لها وتشاهد برامج كانت مؤجلة بالنسبة لها لضيق الوقت ولا تنسى فرح الذهاب الى الاسواق لشراء ملابس الربيع الجميلة والزاهية الالوان بعد ان ادخرت مبلغا لهذه المناسبة، الطالبة امل في المرحلة الاعدادية تجد في العطلة الربيعية مناسبة جميلة في رعاية حديقة الدار وتعزيزها بانواع من الزهور النادرية التي تجلبها وتشتريها من المشتل المجاور لدارها، وانها تقضي امسيات العطلة مع قطتها المدللة سهير وهي تتابع معها افلام كارتون حيث تحب القطةسهير مسلسل (توم وجيري) الطالبة في الصف الثاني الابتدائي زينة (٨ سنوات) قالت انها ستقضي عطلة نصف السنة في زيارات متعددة لبيت خالاتها واخوالها والذهاب بصحبتهم الى نادي الصيد والاستمتاع بالشمس المشرقة وان والدتها رغم كونها موظفة الا انها اعدت لها ولشقيقتها برنامجا مكثفا لقضاء احلى الاوقات وتناول وجبات العشاء خارج المنزل.

اباء وامهات ينتقدون التعليم

وتوضح ام رامي ان الدراسة في الوقت الحاضر لم تكن بمستوى قبل عقود وتسال عن السبب في عدم بذل الجهود اللازمة من قبل المعلمين والمعلمات ما يجعل كل من الام والاب في تواصل دائم مع الابناء وشرح الدروس بشكل مفصل وكان المعلمة او المعلم لم يتطرق الى الموضوع وتقول ام رامي ان لديها ثلاثة اولاد في مختلف مراحل الدراسة وكلهم يشكون عدم حرص المدرسين والمعلمين على ايصال المادة اليهم مما يجعلها تبذلا جهودا كبيرة الى جانب اعباء البيت لشرح اغلب الدروس لثلاثة طلاب، وتسال ام رامي (مهندسة) انها تحرص اولا على اكمال دروس الاولاد ثم تلتفت الى الاعباء المنزلية مما يجعلها تسهر الى وقت متاخر علاوة على انها تستيقظ مبكرة للذهاب الى الدوام. ام زينب قالت ان معلمات الدراسة الابتدائية في الغالب لا يولون العناية اللازمة في شرح المواد للطلبة وخاصة الصغار منهم ما يشكل عبئا على العائلة فاين الادارة من كل هذا الا هماك؟ واين الوزارة من كل ذلك؟

معلمات ومرشدات

وعندما تحدثنا مع بعض المعلمات عن شكوى اولياء امور الطلبة من اهمالهن لواجباتهن الاساسية في ايصال المادة بصورة واضحة وجلية للطلبة شككن في صحة ذلك وقالت المعلمة ندى مرهون انها حريصة كل الحرص على ايصال المادة الى مدارك الطلبة ولكن الاولاد والبنات في مرحلة الدراسة الابتدائية غالبا ما يكونون كذابين فهم اثناء شرح الدرس منشغلون بامور اخرى جانبية فعادة ما يتحدث الطالب مع صديقه الذي بجانبه او غالبا ما يسرح بتفكيره خارج الدرس، وتشكو المعلمة فاطمة عباس من ان الطلبة هامشيون وكذابون ولا اهتمام لهم بالدروس ويعكسون فشلهم في الاساءة الى معلمهم ملحقين به ابشع الصفات وترى فاطمة ان العلة تكمن في التربية التي يتلقاها الصغير في المنزل قبل ان يطرق باب المدرسة، المدرسة هناء تؤكد ان الطالبة في مرحلة الدراسة الاعدادية بحاجة الى توجيه وتربية اكثر مما هي بحاجة الى تعليم وترى ايضا ان المدرسة لوحدها لا تقوى على اعداد مواطن صالح ومثقف في نف الوقت،في حين يجد المدرس مصطفى ان الطلاب انما يعكسون في سلوكهما ابويهما معا، وان المرحلة المتوسطة والاعدادية هما مرحلتان مهمتان في تنمية وسقل شخصية كل من الطالب والطالبة ولا ننسى انهما معا يمران بمرحلة (المراهقة) وليس من السهولة اقناعهما بالامور الصحيحة بل انهما غالبا ما تتملكهم اما روح المشاكسة او الاعتداد بالراي مهما كان ذلك الراي خاطئا، المرشدة التربوية سلوى قالت انا لا اقف الى جانب الطالبة كما لا الوم المدرسة فقد وجدت طيلة سنوات عملي في الارشاد التربوي ان هناك طالبات حريصات على تلقي العلم وصادقات مع الاهل ومع المدرسة، كذلك هناك ا لبعض من المدرسات كسولات لا يتعبن انفسهن في ايصال المادة الى الطالبات والاما كان هناك ارشاد تربوي يساهم في حل المشاكل التي تعترض كل من الطالبة والمدرسة، اما المرشدة التربوية سلمى فقد اوضحت ان الهموم والمشاكل التي تواجه الطالبة في البيت هي بالتاكيد سوف تجعلها شاردة ولا تقوى على استيعاب الدرس.

برامج ترفيهية

ونعود الى العطلة الربيعية وكيف يقضيها الطلبة في ظل اجواء ربيعية هانئة تقول المرشدة التربوية زينب ردا على سؤالنا لماذا لا تبادر المرشدات التربويات في اعداد برامج ترفيهية مثل (مسابقات علمية، سفرات علمية، دروس لا صفية مثل مرسم واقامة معرض فنية او عرض افلام علمية او تاريخية او تربوية ارشادية بشكل بعيد عن اوامر التوجيه) قالت المرشدة زينب ان الوضع الامني لا يساعد في اعداد مثل تلك البرامج التي اراها ضرورية لصقل مواهب وقابليات الطلبة وتؤكد زينب ان الطالب مسكين عندنا فهو لا يلاقي سوى النصائح والارشاد بشكل اوامر فجة وان مصادرة حرياته في التعبير تجري بشكل بعيد عن احترام رايه حتى وان كان على خطا، ويرى مدير احدى المدارس الاعدادية ان العطلة الربيعية هي استراحة لكل من الطالب والمدرس وكذلك المبنى فغالبا ما نقوم بترميم بسيط للمقاعد الدراسية واسيتبدال اللوحات (السبورات) كما يرى ايضا ان الفترة القصيرة للعطلة الربيعية لا تسمح باقامة اية فعالية من مسابقات ترفيهية او سفرات. ويلقي اللوم على وزارة التربية التي لا تهتم بالنشاطات اللاصفية كما انها لا تشجع في اقامة المسرح المدرسي او اقامة المعارض الفنية او النشاطات الرياضية، وتجد مديرة المدرسة المتقاعدة ماجدة الشابندر ان ما شهدته المدن من اعمال ارهابية وعنف واقتتال طائفي اثر وبشكل كبير على البرامج الخاصة بالنشاطات اللاصفية مع العلم ان كل من المدرسة والتلميذ غير مؤهلين نفسيا في الانخراط بمثل تلك البرامج وتقترح الست ماجدة ان تقوم ادارات المدارس خاصة تلك التي تمتلك حديقة واسعة بالعمل على تنمية روح العمل الجماعي لدى الطلبة بزرع الحديقة والاهتمام بالزهور وبذلك تكون مثل هذه المدرسة قد حققت النجاح في مضمارين الاول خلق طالب مرهف الحس رقيق المشاعر يحب جمال الطبيعة المتمثلة بالزهور، والمضمار الثاني جعل منظر المدرسة رائقا وجميلا وان تستغل فترة عطلة نصف السنة في رعاية مثل تلك الحدائق و ان تعقد لقاءات او مسابقات في تلك الحدائق التي هي من صنع الطلبة.

وبعد الاستماع الى كل تلك الاقتراحات نتمنى ان تاخذ بها وزارة التربية من اجل اعداد جيل واع متسلح بالمعرفة الى جانب رهافة الحس والمشاعر، وكل عطلة ربيعية وطلبتنا الاعزاء بالف خير.

بيوت يسودها الضجر

وتواصل الطالبة مريم حديثها المرح قائلة:

– انها المرة الثانية التي اخرج فيها في سفرة خارج الوطن فقد زرت في العام الماضي وفي عطلة نصف السنة ايضا خالتي في دمشق كما زرت مدنا في داخل العراق منها كربلاء والنجف والحلة والديوانية وتضحك الحلوة مريم معقبة ان حسن حظها ان والديها رغم كونهما موظفين الا انهما يحبان السفر داخل وخارج العراق كثيرا وتسالني مريم لماذا لا تسافر بقية العوائل خارج العراق في العطلة الربيعية لقضاء اوقات سعيدة بعد اداء الامتحانات الشاقة؟ وعندما سالتها عن نتيجتها بعد امتحان نصف السنة قالت بفخر لم نستلم النتائج بعد، لكنني واثقة من نفسي من انني الاولى. اما الطالبة شهد وهي بعمر مريم فقد قالت انها حزينة اشد الحزن بحلول عطلة نصف السنة ذلك لانها سوف تفقد صحبة صديقاتها في المدرسة وان الضجر والملل هو ما يخيم على سكون البيت الهادئ فوالدتها منهمكة بشؤون البيت وهي دائمة الشكوى والضجر من هذه المهام الروتينية ووالدها يعود الى البيت منهكا هو الاخر ولا يقبل اي نقاش او اقتراح في سفرة اونزهة حتى لو كانت في حديقة الزوراء وتشير الطفلة شهد الى انها عندما طلبت من والدها الذهاب الى بيت خالتها في البصرة اجابها ان الوقت غير ملائم الان وان الحالة الامنية لا تشجع في السفر خارج بغداد خاصة بعد الخروقات الامنية التي حدثت مؤخرا في استهداف فنادق الدرجة الاولى، اما الطالبة